أدونيس

زوكالو

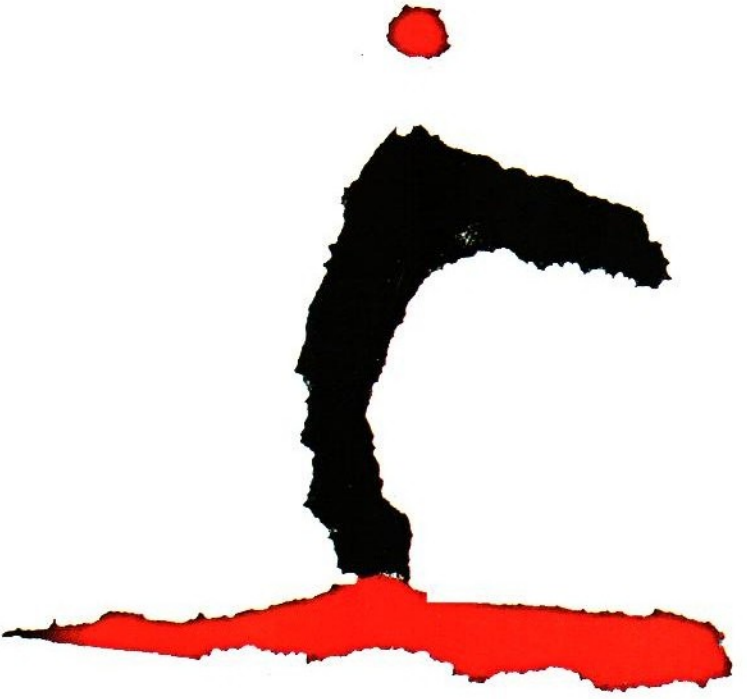

دار الساقي

أدونيس

زُوكالو

دار الساقي

© دار الساقي
جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى 2014

ISBN 978-6-14425-781-4

دار الساقي
بناية النور، شارع العويني، فردان، ص.ب: 5342/113، بيروت، لبنان
الرمز البريدي: 6114–2033
هاتف: 442 866-1-961+، فاكس: 443 866-1-961+
email: info@daralsaqi.com

يمكنكم شراء كتبنا عبر موقعنا الإلكتروني
www.daralsaqi.com

تابعونا على
@DarAlSaqi
دار الساقي
Dar Al Saqi

– ١ –

الشمسُ تُحِبّ دروبَ مايا.

– ٢ –

فندق لاكاسونا[1]. من غرفتي أُشاهد كيف تضع الشَّمسُ أولى خطواتها على عتبةِ مكسيكو، مُصغياً إلى الشجر يُحيّي وجهَها بصوتٍ خافت.

كان الليل قد خرجَ من الفندق تاركاً على فراشيَ آثاراً لم أحسن قراءتَها كما أكّدت لي الشمس.

في الشارع مع شمس مكسيكو، تلزمني أشجارٌ أحملها بين كتفيَّ لكي أستطيع أن أُتابع السَّيْر. يلزمني غُلوٌّ يُؤاخي بين ميٍّ ومايا.

يلزمني تيهٌ في الأعماق.

1 Casona

– ٣ –

إلى ماذا أستند؟

إلى مُربّع الصِّفر، أم إلى مُثلّث الشَّهوة؟ إلى أهرامات الأثير، أم إلى خيام التاريخ؟ إلى الرّيح التي تتبخّر من المقابِر، أم إلى يمامةٍ جائعة؟ هل للزهرة أخيراً غيرُ حُفرةٍ كمثل العُنق؟ هل للفراشة أخيراً غير اللَّهب؟ هل أسأل: كيف يَنْتهي هذا العالَم، أم أسأل: كيف بدأتْ هذه الجحيم؟

هل أُصادق ذئاب الطبيعة؟ أقتل تلك الّتي تربضُ تحت أظافري؟ أُركّز بصري على بصيرتي، وهذه على ذاكَ، وأرافقُ إلى بلاده القصوى عِطْرَ وَرْدةٍ تموت.

بدأ ثوبُ السّماء يتبلّل بالجراح. إذاً، أخذت هذه البائسةُ تتعلّم كيف تُنشِد معنا:

الطائرُ عابرٌ،

والقفص بلا نهاية.

الشمس تُحِبّ دروب مايا.

— ٤ —

صباح الثاني والعشرين من نيسان ٢٠١٢.

رجالُ الأمْنِ يستقبلون الآتين إلى بلادهم كأنّهم شُطآنٌ تحتضِنُ الموج. كلُّ آتٍ إلى مكسيكو ضيفٌ على مايا. مايا تنشر ضوءها بلا حراسة. وأكادُ أن أسمع سماءَها تتساءل كيف أستعيد طفولتي؟

أَهِيَ لُغةُ مايا تسيل على الطريق بين المطار والمدينة؟ تسيل في الشوارع التي سلكناها: جينيفّر وأنا إلى فندق لاكاسونا.

تقول هذه اللغة:

"أكثرُ بهاءً أن ينسى

الألِفُ ماضيَه،

وأن يدرسَ من جديدٍ

صرفَ المستقبل ونحْوَه".

وقالت:

"تنام أُمي الآنَ مع محيطٍ ليس له قَرنانِ ولا ذَيْل".

وقالت:

"عَوْلمة؟ محيطٌ من البلاستيك. هل تستطيع أن تتنبّأ، أيها الضوء"؟

إقرعي طبول الأرَقِ، أيّتها المدُن.

الشمس

تُحِبّ

دروبَ

مايا.

— ٥ —

وضعتُ يدي في جيب الشّمس واسْتسْلمتُ إلى هباء الأشعّة. للشوارع أجنحةٌ تتطاير بينها خطواتُ الواقع، وللنّهار أكثرُ من جِسم. هل الهواءُ هنا سجينٌ في قُبّعةٍ؟ هل للهباء، هو أيضاً، خشبةٌ يُعلَّق عليها الإنسان؟

بين فلَك الجَدْي وفلَك القَوْسِ، تشتعِل وتخبو أبراجٌ كثيرةٌ للمعنى، وكلٌّ يُتمتم: صورتي، صورتي. غير أنّ المعنى يفتح أبوابَهُ لجميع الصُّور.

بشرٌ يسجنون الكتب المقدّسةَ في جِرارٍ مَلأى بالملائكة.

بشرٌ يحرقون المارقينَ ويسكبونَ بقاياهم في أمعاء الشياطين.

بشرٌ يطبخون النبوّات في نُحاسِ الهياكل، وينشرونَ توابلها في جميع أنحاء العالم.

"أهذا دينٌ، أم هي دُنيا تمتصّ عظامَ السّماء؟"، يتساءل مارقٌ قُبيل أن يُحرَق.

وأين المُصوِّر الذي يُصوِّر آلهة المؤمنين؟ تسخر النجوم منّا كلّما استيقظت. وكلَّ ليلة قُبيل أن تنامَ تتركُ بُقولَها اليابسة في صحوننا، إمعاناً في السّخرية. بقَرَةُ السّماء عاهِرٌ، ولا حاجةَ لكي نسأل:

أين ثيرانُكِ أيّتها الأرض؟

– ٦ –

أنبياء يعانقون الجدرانَ، واللغة تكتشف سجّانيها. لا الزهرةُ تتزوّج الزمنَ، ولا البومةُ تنقر أحشاء الغيب. تكزُّ الكنيسةُ بأسنانها المضطربة على الأناجيل. على أُمومة التوراة. على الصلوات التي تتدفّق أنهارها في شرايين الوَقْت.

هكذا تظنّ أنّها تُدير دفّة الغيوم، وأنّها تُهدهِد رؤوس البشر بين ثدْيَيْها.

– ٧ –

الهواء، هذه اللحظة، في حِداد.

بَصري يتنقّل بطيئاً على طبَق الواقع. وكنتُ أعطيتُ بصيرتي لضوء الأساطير. صورٌ تجهل الصَّمت، غير أنّها لا تتكلّمُ إلا همساً. العيون كرَزٌ أسودُ، والخطواتُ جسورٌ من الغبار.

كيف لا نستطيع أن نُسكِر هذا العصر، إلا بأباريقِ الدّم، وأنابيق الذرّة؟ كيف لا نعرف أن نرقص إلا على جثث الأصدقاء والأحبّاء؟

الشمسُ تُحِبّ دروبَ مايا.

- ٨ -

ثلوجٌ هي الأجنحةُ،

أمراضٌ هي العقاقير.

وليس في الهواء غيرُ رائحة الاحتضار. وها هي الحياةُ تنحدر في هوّةٍ أخرى يحفرها الغيب. الموت غيمةٌ حيناً، خيمةٌ حيناً في هذا الفراغ الذي سمّيناه الدّهر.

في الفراغ فراغٌ آخرُ مليءٌ بالأرقام.

فراغٌ هو، وحدَه، لا ينسى مواعيده.

- ٩ -

شوارعُ ترقص على أكتاف العابرين. عابرون كمثل طائرات من الورق، تجرُّ أجسامها على ضفاف الأفق. لكلّ خطوةٍ شفتان، تهربُ الواحدةُ من الأخرى. لكلّ عمود عينان، ولكلّ حجرٍ رئةٌ تنفثُ دخانَ التاريخ.

وعندما تنظر إلى الفضاء الذي يسجنه سَقْف المدينة، لا تملك إلا أن تصرخ:

مع ذلك، مع ذلك، سأحاول أن أموتَ وأمام عينيَّ وردةٌ تتفتّح.

هكذا تركتُ تنهّداتي إلى صبَواتها، ورحتُ أفكّر في إضافة وتَرٍ آخر إلى قيثار المعنى.

الشمسُ تُحِبّ دروب مايا.

- ١٠ -

مايا،

أتخيّل كيف أخترق تخومكَ وسوادها الآبنوسيّ، خالِقاً للضّوء يدين وعنقاً.

شقائق نُعمانٍ تحتضنُ قِرْمز هذه التّخوم،

بعروق هذه الشقائقِ ممزوجةً ببصَل النرجس، أبني حواجزَ ليّنةً وسمحاء بين هجوم الرّيح وهبوب العطر، بين ثياب الغيوم وخيوط المطر.

أقِفُ عند أوّل حاجزٍ، وأرى كيف تعبُر الآلهةُ، وتعبُر وراءها القوافل.

- ١١ -

سهمٌ وراء التخوم يضطربُ تحت جناحَيْ نَسْرٍ.

قوسٌ تنتحب فوق وادٍ تجهل كيف تؤاسيه، فيما يؤرّخ القمر لِمَدّ الحلُم، وترصد الطّيور الجَزْر.

الطّبع يبتكِر، احتفاءً بالطبيعة. الطبيعة تعشق، احتفاءً بالطّبع.

سأرى، هذه الليلة، كيف يرقد الماءُ والنارُ على وسادةٍ واحدة.

- ١٢ -

أتنقّل في قاعات المتحف الأنتروبولوجي في مكسيكو، كأنني أقرأ السّماء والأرض في كتابٍ واحد. تخرج من الرُّسوم والتماثيل، من الأقنعة والجدرانِ لُغاتٌ تستنْفِر لُغتي وتطير بها نحو جهاتٍ أخرى من العالم، تلك التي لا تعرف أن تراها إلا عينٌ تخلقها مجرّاتُ الغَيْب.

- ١٣ -

نورسٌ ينام على عنق نورسٍ.

موجةٌ تتدلّى من عنُق موجة.

شاطئ – سريرٌ لكائناتٍ تتنقّل لابسةً سراويلَ البحر.

هدوءاً هدوءاً، يا فراشاتِ المعنى. الصُّور ترتجل الأجنحةَ، والفضاء يرتجل الحِبر.

هكذا أضعُ الأشياءَ بين قوسين، وأشقّ بين رموزها طريقي. أسرجتُ أفراساً لم ألمسها، ولمستُ كواكبَ لا أراها. وكانت الجبال تسيرُ حوليَ مُمسِكةً بالغيوم.

- ١٤ -

لم أكن قبلُ صديقَ حرذَوْنٍ يَسخَرُ من السَّماء، ويُوَاخي شقوق الأرض. لم أكن قبلُ رفيقَ ضِفدعٍ في سفَره إلى بحيرة الليل. لم أكُن قبلُ أميلُ إلى أن أضعَ قِناعاً ليسَ وجهيَ وليس غيره. وضعتُ مِرْفقي على وسادةٍ تخيّلتُها، وقلتُ لعروبتي: أَصغي. قيثارُ طائرٍ آزتيكيٍّ يرنُّ في أُذُنِ الوقت. وفي القمر الذي يكاد أن يغيبَ ذئبٌ حزينٌ أنهى حروبَه مع الرُّعاة.

- ١٥ -

بعيداً، يُرتَجَلُ الهواءُ في مراوحَ عمياء. موتى يسكنون الرؤوسَ والقلوب.

موتى على الأرصفة، وفي الحوانيت. موتى في الكتُب والحبر وعلى الورق. موتى يتكدَّسون فوق الموتى، محزومين بحبالٍ سماويّة. موتى يشربون النّار، ويُضرمونها في جسوم الأحياء.

بعيداً،

صورٌ إنسيّةٌ،

طينٌ وحشيّ!

- ١٦ -

تروتسكي!

قبل أن أدخل إلى بيته الذي قُتِل فيه، ودُفِنَ قُرب زوجته ناتاليا سيدوفا في مدفَنٍ واحد، كنتُ وضعتُ بين ذراعيَّ ثديين لِلثّورة، ورحتُ أتأمّل الشّمس التي تنفخُ هباءَها في أنحائه. كان دمُ الصّرف والنّحْو في لُغتي العربيّة يتدفّق كمثل نَهْرٍ نبَع من مجرّة القرامطة ولا يجد له مصبّاً. وكان يُخيّل إليَّ أنّ التّاريخ كمثل حرفٍ يتدلّى في شكل حجَرٍ من قرنِ ثورٍ أسود.

في البيتِ، رأيتُ قيثاراً يتصبّب العرقُ من أوتاره. سمعتُ أشجاراً تصفّق له. كانت يدُ السّماء اليُسرى ترمي نَرْدَها على جبين الأفق. وكانت أقفاص الأرانب التي أَحبّها القائد وربّاها في حديقة بيتِه تتمسرحُ بعيداً بعيداً عن تلك الأقفاص التي أحبّها ستالين وربّاها في حديقة الثورة الاشتراكية الأولى.

- ١٧ -

تروتسكي:

ما أحنّ عكّازك يرقد صامتاً في سريركَ، هو الذي شاهد اغتيالكَ.

تشهد نَظّارتك المكسورة. تشهدُ آثارٌ من دمك. تشهد القمصان والأحذية وفناجينُ القهوة، وآلتك الكاتبة.

رامون ميركادير ديل ريو،

ماذا فعلتْ يداكَ أيُّها القاتل، ومَن أنت؟

تروتسكي – الأمرُ هُوَ هو!

سيّدُ الأرض ينتظرُ من يتصدّق عليه بمحراث: (هذه حداثة الغرب الأميركي).

سيّدُ الأرض يوضع تحت الحراسة: (هذه حداثة الغرب الأوروبيّ).

سيّد الأرض يُطرَد من بيته ومن حقله: (هذه حداثة العالَم الرأسمالي).

– ١٨ –

تروتسكي – الأمرُ هُوَ هوا!

مدخنة التاريخ تنفث دُخانَها في وجه الخالق، والبشرُ أوراقٌ تتناثر في الدّخان.

غَطّوا جسمَ الشمال بثوب الجنوب. مزّقوا حديد الغرب بحرير الشّرق.

تروتسكي،

مع ذلك، سأُشعِل هذا المساءَ، شمعةً، وأصرخ:

كلّ نُبوّةٍ غَسَقٌ

والإنسانُ أوّل الكون.

– ١٩ –

بين تروتسكي وفريدا كاهلو،

كرسيٌّ متحرّك.

ألوانٌ وكُتُبٌ، وأقلامٌ. بينهما أيضاً مرآةٌ وسريرٌ. هو الآن يستقبل قناعها. قناعٌ باذخٌ يرقد فوق منديلٍ باذخ. بيتٌ – متحفٌ، تبدو فيه قوّة الحياة أغنى وأكثر إشراقاً من قوّة الفنّ.

فريدا – تروتسكي،

الشيء أكثرُ بقاءً من صانعه: عبث ظلام أم عبث ضوء؟ وما تكون، إذاً، رسالتكَ، أيّها العشق؟ وما يكون رأيها تلك الغامضة التي تُسمّى الثورة؟

فريدا – تروتسكي: ماءٌ آخر يَسيل بين شفتيْ ساحرِ الماء، شيشين إيتزا[1].

1 Chichen Itza

- ٢٠ -

حسَنٌ أن ترقصَ، أيُّها الوقتُ، فوق أَلفاظِكَ. وأنتَ، يا ذلك البحر، أحسنتَ حين أفسحتَ للشمس كي تَحُلّ جدائلَها بين ذراعيك.

كلاّ، لن تتحرّر مكسيكو وأخواتُها إلاّ بدءاً من اندماج السُّكان الأوائلِ وبقايا أولئك الذين ينحدرون من الغَزْو،

لا في وحدة التّسامح، بل في وحدة المساواة. وها هو العالَمُ اليوم: أهرامٌ ضخمةٌ من أجسامٍ تسحقها آلاتُ الفَتْكِ.

صلصالٌ ينسكبُ في حلقوم اللّغة. تاريخٌ يتشحّط تحت أقدام البشر، ولم يعرفوا بعد كيف يُسمّونه.

صباحَ الخير، تروتسكي، مساء الخير.

الشمس تُحبّ دُروبَ مايا.

ماركس! إيْتزَامْنا[1]!

---

1 Itzamna

- ٢١ -

لم يكن تروتسكي ينتظر من الشجر أو من النوافذ أن تحمل السّلاح دفاعاً عنه. كان ينام وبين يديه كتاب المستقبل. كم من الدماء سالت احتفاءً بمجيئكَ، أيّها المستقبل، ولم تجئ بعد. وقل، أيّها المستقبل، كيف تريد أن يكونَ قبرُك، وأيّة ميتة تريد أن تموت؟

أضع مكان السّماءِ صحناً حجريّاً يتبجَّسُ منه عنبرُ القارّات. وبدلاً من النّوم في أسِرّةِ الملائكة، أتبدّد في البروقِ والأجنحة.

قُنّبٌ شآميٌّ لِنَسْج ثيابٍ أُخرى لِلآلهة:

الياقاتُ نجومٌ، وأكمامُها مجرّات. لا تجاعيدَ في الأفق، والشمسُ حِرْذَوْنٌ أحمر.

- ٢٢ -

كتبٌ كثيرةٌ في شاهدةٍ واحدة. قبورٌ كثيرة في كتابٍ واحد. أَلَن تقولي، أيّتها الشمس، أين تُحفَظ أوراقُ الدَّهر؟

مَن يسكب ضوضاء العصور كمثل خمرةٍ عاليةٍ في إبريق الأساطير؟

من زمنٍ مَلأتُ، قَناديليَ بزيتِ الأقاصي والشَّجرِ الذي يتلوها. وانتسبتُ إلى سُلالةِ المتاهات. بلى، تبدو النّبوءات الوحدانيّة في هذا الجحيم الكونيّ سكاكينَ عليّ أن أبتلعَها صارخاً: ما أطيبَ عسلَكِ، أيّتها السكاكين.

وثمّةَ أَيْدٍ تضع حولَ كلّ عنُقٍ منشاراً.

- "كلاّ،

لا يكفي أن تنفجرَ البراكين": تَهمسُ الشوارع.

تَنفّسْ برئتيّ، أيّها الشجر الذي تطوف حوله غيوم التاريخ. والتحية للشباب والشابّات الآتين من مايا وأخواتها.

رأسي

يسبحُ

في بحيرةٍ

من الخمرة

العالية، اسمها مايا.

- ٢٣ -

بحيرةٌ – لا شواطئ لها والسُّفنُ حرّةٌ. كلماتٌ تتمرّد على معانيها، حروف تتمرّد على كلماتها. تُمسِك بكاحليَّ شجرةُ صَبَّارٍ تختزن تباريح مايا.

تقرؤني عينُ الشمس، تلك التي تُوحّد بين الأفق وهذه الشجرة.

قولي، أيّتها الطبيعة: لا وحدانيةَ في الطبيعة.

قولي، أيّتها الحياة: لا وحدانيّةَ في الحياة.

قُل، أيُّها الوجود: الواحدُ عدَمٌ، وفي البدء كانت الكَثْرة.

- ٢٤ -

تامبيكو[1]. الخليج. زيارتي الأولى للمكسيك في السنة ٢٠٠٤. لخليج المكسيك، اليوم، ٢٠١٢، فرنٌ من النار وقودهُ الماء. أطفالٌ ينفجرونَ في دُمىً بلاستيكية.

وما جدوى أن نثقبَ السماءَ بمسامير صلواتنا؟

موسيقى،

أوركسترا صحون نحاسيّةٍ وزَلّيج وحبرٍ أزرق. مَدّدوا الموتى على صدور الأحياء. اسكبوا الأحياء في أباريق الموتى. كلٌّ يتكلّم كأنّه الآخرُ تَحت مظلاّت الآلهة.

حربٌ في الخبز والماء، بين إصبع اليَد وأختها. يُصفّق النّمل للحرب. تخيط العناكبُ أعلامَ النّصر.

ابتهاجاً، تلوّح الذئابُ للملائكة.

---

1 Tampico

– ٢٥ –

الكلماتُ بقراتٌ عجافٌ تحت جلودهنّ يرقد الموتى والأحياء في أسرّةٍ واحدة. هنا لا تُعَدُّ الأرقام. هُنا تُؤخذ حَصاداً.

خِلاسيّةُ أرقام! ميستيزوس[1]! بخطواتها يمشي الزّمن. زمَنٌ لا ينتظر أحداً. يَسير مُسرعاً وحافياً على شطآن اللّغة. ابتكري، أيّتها اللّغة، زَمنَكِ الخاصّ.

لم يعُد الرأس في مكانه إلا مجازاً. الرأس يتدحرج مُقيماً بين القدَم والقدَم. وفي كلّ مُنعطَفٍ إلَهٌ حارسٌ يَعدّ ما تبقّى من أيّامه.

ماذا أفعل إن كان الموتُ يُحبّني، خصوصاً في السَّفَر، أنا الذي لا يُحبّ أن يُقيم إلاّ مُسافِراً؟

1 Mestizos

– ٢٦ –

بخورٌ يتصاعَدُ: امرأةٌ – جرّةٌ!

للمتحف الأنتروبولوجي في مكسيكو هو أيضاً خِلاسيّةُ عجينٍ، ويدان خلاّقتان.

عَقْربٌ – إلهٌ!

ضِفدَعٌ – عسكريّ حارس!

السُّرّة ثقبٌ عميقٌ في الجسم. هاويةٌ – ذُرْوة! نَمِرٌ – سُلحفاةٌ. مالك الحزين. لَقْلَقٌ. فمٌ مُرصّعٌ بالجادِ.

رويداً، رويداً، أيّتها الأنتروبولوجيا!

القبر اسم آخر للفراش. وسواءٌ كنتَ قائماً تسيرُ على قدمين أو نائماً تتوسّد الحجرَ أو الغبارَ، فليس لكَ إلا ما أنت فيه.

- ٢٧ -

الوقتُ هو ما أنتَ فيه، تقول مكسيكو بلسان صوفيٍّ عربيّ. وفَرقُ الوجودِ فرْقٌ في الدّرجة لا في النّوع.

لا يعرف أحدٌ أن يتكلّم كما تتكلّم ضفدعةٌ تسهرُ قرب كتفَي بُحيرة، أو بين فخذَيها.

لا يعرف أحدٌ أن يتمطّى كما يتمطّى ثُعبانٌ أو نَمِر.

لا يعرف أحدٌ أن يتحرّر كما يفعلُ الفَهْد.

تَواضَعْ أيّها الحيوانُ المُسمّى إنساناً، وإن كنتَ بعد الطبيعة، الخلاّقَ الأعظمَ.

اِصعَد، لكنْ سوف تهبط. لن تبقى حيث تَصعدُ إلا إذا متَّ.

- ٢٨ -

تيانغي[1]!

نَرْدٌ يعزف الموسيقى. ماءٌ يُعلّم المحيطَ كيف يرقص ومتى. جَنّةٌ لا تحظى بالراحة إلاّ في سرير الجحيم.

لماذا قميصك واسعٌ وقصيرٌ أيُّها الأفق؟

اتَّفقتِ الطيورُ هذا الصباح: ستخيط لكَ ثوباً جديداً.

---

1 Tiangui

- ٢٩ -

لم يمُت شيءٌ. تحوّلت الأشياء كلّها. لا تزال مايا ترقص وترسم وتنحت. كم أنتَ ثقيلٌ أيّها الحيوان النّاطق، مع أنّك خفيفٌ جداً.

هكذا بقيتَ سائراً، ثائراً، ولم تتعب.

امرأةٌ تُرضِع القمر،

رسّامٌ يحاور النباتات،

نحّاتٌ يغازل الحجَر مكرّراً: المعنى حركةٌ نحوَ.

المعنى هو أن تكون في آنٍ فجراً وليلاً.

- ٣٠ -

تيانْغي! الاسم، لا الشيء.

تُطبق الشمسُ جفونَها على أطفال يبيعون ما تبتكره اليدُ الهنديّة. خلائق فضّةٍ وقطنٍ وخشبٍ وحجارةٍ كريمة. خلائق الطبيعة، برّاً وبحراً، يُعاد خلقها في مُنمنماتٍ يبدو الربيع إزاءَها، قميصاً فقيراً.

تيانغي!

المكان الذي نتحرّك فيه، يلبس الزّمان جرحاً مفتوحاً. هكذا نعيش في أقفاصٍ من الرّيح. وليس لِلغَيْم فضاء - الفضاء كلّه بيد الغيم. هكذا أبتكر لصديقتي جدائلَ كتلك التي كانت تسترسل على كتفَي مريم.

هكذا تتحوّل الخديعة إلى حقيقة.

- ٣١ -

لا ينام الآلهة في تقاليد مايا إلاّ وقوفاً، على رؤوس الجبال، في الينابيع وأحشاء الأرض. في غابات الذُّرَة. كلّ عُرنُوسٍ عضوٌ إلهيّ. وفي كلّ حبّةٍ من الذُّرة طِفلٌ ينفصلُ عن طفلةٍ. وفي كلّ طفلةٍ إلهٌ. الملح، في هذه التقاليد، مَنِيٌّ ترابيّ. المَنِيُّ ملحٌ سماويّ. الذُّرَة ذَرّةُ المصير، ذُرَةُ مكسيكو – مِلْحُ قَصّابين. هيكل النُمور المرقّطة! آلهةُ الذُّرة!

- ٣٢ -

حجَرُ الشمس! الإله – الشّمس! تونا تيوه[1]!

إلهٌ – وطواطٌ!

إلاهةٌ – قمر! امرأةٌ – ذُرَة!

مارسوا الحياة بوصفها أُمّاً للموت،

مارسوا الموت بوصفه ولادةً دائمةً للحياة.

الإنسانُ موتٌ بيدَيْن وقدمين!

امنحْنا، أيضاً وأيضاً، فرصةً للدخول في فراغكَ، أيّها الكون.

نحتاج إلى أن نُعيد اكتشاف هذه الأرض.

تهيّأوا، إذاً، لكي نمحوَ جميع الدّروب.

1 Tonatiuh

- ٣٣ -

في المُتحف الأنتروبولوجيّ، سمعتُ حجر الشمس يقول للهلال:

كلاّ! ورأيتُ زَهرة الصّبار تشرب عسَل الشمس. كانت الطيور تُقيم مآدبها في بيوتٍ خاصّةٍ في مُخيّلتي، يبنيها الفضاء.

المُخيّلة!

ساعةُ الحياة المُعلّقة على جدار الكون تتسوّل عقاربها. هل تتحوّل الحياة في هذا العالَم

إلى ببّغاء من القشّ؟

العالَم؟ عشاءٌ أخيرٌ يُقدّمه الليل للنهار. كلُّ مدعوٍّ يلبس قميصاً في شكل حوتٍ – أنثى. وكان الماء الذي ينزل صباحاً من جبَل الليل، ينزل راكباً فرساً لها شكلُ بقرةٍ وحشيّة.

- ٣٤ -

وددتُ لو تتآخى الحروف التي تتكوّن منها أسمائي، مع تلك التي اخْتيرَت لأحفاد مايا وأبنائهم. وددتُ لو يمتزجُ وجهي بآبنوس وجوههم.

ماري – جوزيه بّاز

أكتافيو، ما ذلك الضوء الذي كان يعيش متسوّلاً على بابِ الليل في مرسم فِريدا؟

ولماذا عاش تروتسكي أيّامه الأخيرة يُربّي الأرانب؟

أِلكي يتذكّر ما تبقّى من ذئاب الثورة؟

- ٣٥ -

المُخيّلة! تيانغي – الواقع:

وَرْدُ الشيخوخة، عصَبُ نَجْمةٍ ينبض في جسم الآبنوس، مَنِيُّ ضوءٍ يلقّح الدروب،

رقصٌ يعيد ابتكار جسد المرأة.

تَنَقَّلْ مع نحلةٍ واسْكُنْ بيضةَ النَّمل.

المُخيّلة! تحت سحُبٍ من التنهُّدات، يستيقظُ النّهارُ مُتّكئاً على خاصرة وردة.

- ٣٦ -

أخيراً، تبقى وحدَك، أيّها الهنديّ الأحمر، يا أخي، لكن، لا شيء، كمثل الوحدة، يُبعثرك.

الأنا ترابٌ، لا بذرة. الأنا سحابٌ كونيّ.

آنتيغو سان آنجيل إنّ[1]،

جيزيل – قيصر عفيف. لبنان بِأَصْغَرَيْه!

مطعمٌ مُصغَّرٌ لحيّ تاريخيّ. يمتزج الداخل إليه بغبار الماضي وذهبه.

نرى أحصنة هذا الماضي مُسْرَجةً بأنجمٍ وغيوم، بجبالٍ وبُحيرات تجرّ عربة الوقت.

لا الزائل هو ما يحتاج إلى الأبديّة. الأبديُّ هو ما يحتاج إلى الزائل. تَرى في هذا المطعم خواصرَ لها أشكالُ الأجنحة، وأخرى لها لُغَةُ الغَيْم.

1 Antiguo San Angel Inn

امرأة نافرة! رأسها غابةٌ صغيرةٌ من الزّهر. فخذاها ضِفّتا وادٍ ليس إلاّ جبلاً. صدرها حَلْبَةٌ تتصارَعُ فيها أفراسُ الشّهوات.

– ٣٧ –

كانت الشّمس تجرّ جسَدها على زجاج النّوافذ، وعلى جذوع الشجر. انجررْتُ في أشعّتها. لا أعرف كيف. لا أعرف إلى أين.

خارج المطعم، حروبٌ بين المكانس والنفايات. تحرَّرْ، أيُها الغبار.

خارجٌ كمثل قواربَ تفتقر إلى الأشرعة.

خارجٌ مليءٌ، مع ذلك، بصورٍ لطفولة الأرض.

– ٣٨ –

كلّ لبنانيّ في المكسيك شلاّلٌ داخل شلاّلات آغوا آزول[1] التي يغار من زُرقتها الصنوبر،

ويخشع حولها المكانُ هائماً في دوارٍ سماويّ.

تخيّلنا في المطعم أنّنا نسأل لبنانياً وُلد قرب هذه الشلاّلات ومات سائلاً – ذائباً فيها: "لماذا كانت مايا تُقدّم الأطفال ضحايا إلى الآلهة؟"، وتخيّلنا أنه أجاب قائلاً: "رُبّما لأنّ الآلهة كانوا، هم كذلك، أطفالاً".

1 Agua Azul

– ٣٩ –

ميزو – أميركا[1]،

قُلنا: ألهذا لا يزال الدين في شرقنا قتالاً؟ أفواهاً بشريّةً في أشكالِ أشداقٍ لِجِمالٍ غاضبة، ورؤوساً بازلتيّة جاديّة ذهبيّة لرجال دينٍ تتعثّر قدما السماء بعيونهم وشفاههم. ألهذا لا تتجسّد الأبديّة في شرقنا

إلا في أشكال فروجٍ أُحْصِنَت؟

غَنّي، يا امرأةَ العزيز!

ميزو – آرابيكا!

1 Mézo-Amérique

– ٤٠ –

مكسيكو – متحفٌ في الهواء الطلق، يتمازج فيه البشر والشجر والحجر. الشّمس غابةٌ من الحراب مسنونةٌ كمثل الإبَر. الهواءُ شررٌ طائرٌ. بينهما تأتي وتذهب الأشياءُ الأيّام التواريخ.

ورودٌ تتنفّس جالسةً على كُرسيٍّ قديم. غُبارٌ يسيرُ بأقدامٍ أربع صاعداً هابطاً على درَج الشّمس. الزمن يعرج والعصفور يقرأ الغصنَ بعينٍ نصف ذابلة.

يا جدّتي، أيّتها النافذة التي تلتهم الأفق، يبدو أنّ النُّعاسَ الذي لا يقظةَ بعده، يأخذكِ إلى بيتِه.

وماذا تُريدين أن أقول لليمام الذي كنتِ تسْتَضيفينه كلّ يوم؟

احتفاءً به، سأحرّر الشّرفةَ

من آنية الزّهر، وأكسوها، باسمكِ، ذُرَةً وقمحاً.

– ٤١ –

تماثيلُ تتحرّك في الطبقات السُّفلى من الشّعور. يركب الأطلسي جناحي فراشةٍ لكي يعانق المحيط الهادئ.

تجمع بينهما قوس الحلم. أطرح، إذاً، سؤالاً، لا أنتظر جواباً عنه:

ما الفرق بين صنّارة الأطلسي وصنّارة المحيط الهادىء؟

- ٤٢ -

تكاد الأشجار في الشرق العربي أن تُنكر ثمارَها. تُقطَف بأيْدٍ لا عظم فيها، ولا لحم.

يهتف الحجر:

لم يُعد في الماء غيرُ العطش.

يهتف الماء:

لم يعُد في الشجر غيرُ القُضبان.

هكذا بدأنا نتحدّث بألسنة الحيتان، ونقرأ بفقه الأنياب. العشب يُودّع التُراب، والرّمل يكتب تاريخ الماء.

- ٤٣ -

ثمّة مقابرُ في الحبر في الكلام فوق الورَقِ وتحته، مقابرُ يقدّسها البشر، ويباركها الآلهة. أنتَ، أيُّها الجامحُ، لا تُجِب،

إسألْ: كيف يُطحَنُ الطغيان لغايةٍ واحدة:

أن يُصنع منه الخبز؟ لا خبز الجسم وحده، بل كذلك خبز الرّوح؟

ولماذا يُجنِّد الخالِق بشراً سوّاهم هو، من أجل أن يقتلوا آخرين سوّاهم هو أيضاً؟

– ٤٤ –

ما أجملَ، أيّها النحّاتُ، أن ترسمَ الرأسَ كأنّه نصف بطّيخةٍ، أو ثلث إجّاصة، ثُم تضع قرطاً في أُذنه اليُسرى.

ما أبهاكَ أيها القمر الذي يرتدي جلد الفَهْد، ويُدخِّن التَّبْغَ، واضعاً على رأسه قُبَّعةً من القَش.

فنّ بُونامْبّك[1]! فنّانون – صُنّاعٌ يبدو كلٌّ منهم كأنّه نقشٌ بارزٌ في جسم الهواء.

والشَّمْسُ بَبَّغاءٌ، أو فهد،

والمطر حيّةٌ،

والموت وطواطٌ أو بومة.

1 Bonampak

– ٤٥ –

نقشٌ بارزٌ في جسمِ الفضاء هو الإنسان. مزيجٌ حيوانيٌّ – نباتيّ.

فيه أوراق شَجَرٍ،

وله عينا حيّة وأظافر نَمِرٍ أَرْقَط. وهو أحياناً، صديق تِنّينٍ مُريَّشٍ، وله رأسان.

أو هو شبيهُ كائنٍ مزيجٍ من حيّةٍ وعصفور، أو حِرْذونٍ وَأَيّل.

وما أعجب الأرض: تمساحٌ تنمو على ظهره النباتات. وافرحْ، أيّها الإنسان، أنتَ المخلوقُ من معجون الذُّرَة!

- ٤٦ -

إنّه إله المطر - آتياً من بيتهِ، البئرِ الإلهيّة، لكي يزورَ حقول الذُّرة!

غذّوا الآلهة لكي تستمرّ في البقاء، ولكي تقدرَ أن تُبقيَ الكونَ حيّاً.

غذُّوها بأريج الزَّهر، بالبخور، بأرواح الكائنات الحيّة.

مارسوا طقوسَ التضحية، كما تُمارَس الأعراسُ:

صلواتٌ، مواكبُ، رقصٌ، غناء، مسرحٌ، وتمثيل.

- ٤٧ -

قِردٌ - عنكبوت!

محاربون يخرجون من أشداق الذئاب!

هذَيانُ ألوهةٍ، هلوسةُ عناصر. الكون حركة: طاقة تتحوَّل، وتُحوِّل.

الآن، ينبغي أن أعتذر منكم أيُّها الأصدقاء،

حان الوقت لكي أُرافقَ الشمس إلى بيتها.

— ٤٨ —

لاريفورما[1]،

مُتحَفٌ في الهواء الطّلْق،

أشكالٌ بعضها للبصر، وبعضها للبصيرة. يُفاجئكَ وجهٌ، تبهرك صورة.

كنيسة يَبْدو عنُقها كأنّه ينزف دماً. عندما تقترب، يُرفرف كأنّه جناحٌ مكسور. كلّ جدارٍ فيها هنديٌّ أحمرُ يتصبَّب عرقاً: يدان مربوطتانِ ولسانٌ مثقوب.

جدرانٌ أخرى في عماراتٍ يَنْبُتُ على سطوحها طحلبُ الآلهة.

حرِّر أناكَ من كلّ قيدٍ نبويّ، افتح لصوتكَ نوافذَ تسدّها صخرة الصّمت.

أَصْغِ:

مرّةً ثانية،

1 La Reforma

كلّ ألوهةٍ غسق،

والإنسانُ فجْرُ الإنسان.

كلّ كتابٍ مُقدّس نارٌ موقَدة.

ليس عجيباً، إذاً، أن تبدوَ للعين قبابُ الكنائس في مكسيكو، كأنّها فقاعاتٌ في مجرى الدمع الذي يتدفّق

نهراً جوفياً ضخماً ينبع من أحشاء مايا. ورأيتُ كأنّ هذه القباب تكاد أن تفقد ملحها السماويّ.

كانت الأرض في هيكل مايا تمثالاً يكاد أن يطير.

ادخُلْ في سماء الحجر، أيُّها العَصْرُ الشيخ.

إذهبْ إلى المتحف الأنتروبولوجي، واسأل تمثالاً: كيف تقرأ الكنيسةَ الآن؟ اسألْه كما لو أنّك تسألُه الرَّغيفَ الأخيرَ

في فُرْنِ أحلامه، كما لو أنّك جناحٌ أرهقه الطيران، كما لو أنّك تموت غداً.

تماثيلُ – أحجارٌ تُفكّر وتُغنّي.

كان يومَيَ الرابعُ في مكسيكو نَمِراً – برعماً، ثم صار نمرةً – زهرةً،

ثمّ صار ذُرَةً، ثم صار شبكة أغصانٍ، ثم صار أجنحةً،

ورأيتُ طائرَ الكيتزال[1] يُصفّق لها.

ثم صار أيّاماً سبعةً،

لكلٍّ منها نوافذ سبعٌ، ولكلّ نافذةٍ شفتَا نجمةٍ عاشقة.

تماثيل – في كلّ تمثالٍ إلهٌ مرئيٌّ يرضع ثدياً غيرَ مرئيّ.

تماثيل – قوىً إلهيّة تمتزج في كلٍّ منها تقاسيمُ حيواناتٍ مختلفة، أو تقاسيمُ بشرٍ بخصائص نباتيّة أو حيوانية.

---

1 Quetzal

– ٥١ –

حجرٌ يتزخرف ويتزيّن،

حجرٌ بلاطٌ – نقاطٌ في كتابةٍ اسمها الهندسة.

حجرٌ يترقرق في ثوبٍ اسمه الفسيفساء تلبسه الجدران والنوافذ، السقوف والعتَبات.

مباخرُ تنحفرُ في خواصر الزوايا، في أشكال حيواناتٍ تمدّنت، في انبثاقٍ فائقٍ حيث يُشاهَدُ العلمُ والأسطورة في سرير واحد.

إنّه لعِبُ المادّة. الملعب سطوحٌ تنخرط فوقها الأشكالُ في حركات ائتلافٍ واختلاف، كأنها خرائط لاكتشاف المتاهات.

– ٥٢ –

إيزابَا – تيكال[1]:

سَرْدٌ باللون، طقساً وتاريخاً.

جرّةٌ لها شكل سنجاب.

رأس امرأةٍ يُطِلّ من سُرّة حلزونة.

حلزونةٌ – إناءٌ لماءٍ غامض.

---

1 Izapa-Tikal

– ٥٣ –

كلّ شيء يدفعني لكي أُعزّز حلفي مع الشمس، لكي أُجدّد العهدَ الذي يجمع بيني وبين القمر.

غير أنني لا أزال أجهل كيف أوقظ ذلك الحيوانَ الشَّيخَ – الإنسانَ، من سُباته.

الحيوانات التي عاشرها أسلافي، في الغابة والمدينة، تلتهم بعضها بعضاً.

الفصول ترقص، والنباتات غير آبهة. العاصفة غيّرت طريقها، وكنتُ قد تحدّثتُ معها طويلاً.

ومنذ مدّةٍ، لا تُعيرني الغيوم أيّ اهتمام:

الشمس وردةٌ، غير أنّ زمنها ليس هو نفسه ذلك الذي يعيش فيه الإنسان.

الشمس الشمس الشمس!

– ٥٤ –

أين أنتِ، أيتها اليدُ التي تدقّ على باب المعنى؟

أين أنتِ، أيّتها اللّغة التي تتجرّأُ أن تسأل: هل الفصولُ لا تزالُ هي الفصول؟

أحتاج إلى من يبحث معي عن نفسي: من كنت؟ من أنا؟

شهيقي مليءٌ بفحم التاريخ.

فحمٌ يرسم الهواءَ والماء، الترابَ والحجر، الزّهر والشّجر.

تساقطْ كثيفاً، أيُّها الثّلج. تساقَطْ كثيفاً وعاصفاً.

كنتُ أقول: خطواتي مليئةٌ بوعد الأقاليم، واليومَ، أكاد أن أسألَ:

أين هي خطواتي؟

أين تبدأ هذه الأقاليم؟

– ٥٥ –

هنا في ظلّ مايا، في ظلّ شجر الأرْز اللبنانيّ – المكسيكيّ، تربطني خيوطٌ بجهات الكون الأربع.

لكن، ها هيَ تتقطّع خيطاً خيطاً في حَمْضِ الآلهة الواحديّة.

كيف أحتمي من طوفان هذا الحبر؟

هل آخذ مكانيَ في قاع الجحيم، وأنذرُ رمادي لحرب الأساطير؟

هل أنا رأسٌ طائرٌ يعيش أبداً في تنافُسٍ مع الرّيح؟

من حظّي ألاّ أُجيب. يُجيبُ الهشيمُ الذي يخفق رايةً ضخمةً وعاليةً في معسكر الغُبار.

– ٥٦ –

هنا، تحت شمس مايا،

أشعر كأنّ جسدي اكتمل، كأنّ روحيَ تأبى أن تكتمل.

لا يزال الضوء يدعوني إلى أَقْصى غاباته. لا تزال تلك الغيمة الغامضة تدعوني هي أيضاً لكي ننصهرَ معاً في جسمٍ واحد.

لكنْ، ثِقْ أيّها الموت،

لن أُعطيكَ جسمي إلاّ رماداً.

– ٥٧ –

مكسيكو،

إلى يميني شمس مايا،

إلى يساريَ أينما توجّهت، شمس الإنسان وشمس الطبيعة في قميص واحد.

ولم تَشِخْ، أنت أيّها الرأس – الطّين المرمريّ. كم كان بارعاً نحّاتك البالانكيّ.

لم تَشِخ. وجهك هُو هو. ما بعده، كتابة ثانية لتاريخ الضّوء. تزَنُ أكثرَ من عصرٍ وأكثرَ من فضاء.

هُوذا كوكبٌ تائهٌ يمدّ نحوكَ شبكة أحلامه: سيكون الغد غابةَ أشجارٍ تدرّ، هي أيضاً، حليبَ الأساطير.

– ٥٨ –

سيف الواحديّة!

لا يزال يتوغّل في صدور الهنود الحمر، في الحلم وفي الواقع.

كلُّ لحظة درجة في سلّم القتل، بكلمته، بعرشه،

الواحدِ الواحدِ الواحدِ!

نسيج رملٍ واختناقٍ هي الواحديّة!

لا الإنسانَ عرفَت، ولا الشيء.

وأحلّت السوطَ محلّ الصوت. غازية، لا عاشقة.

صهاريجُ، لا ينابيع.

تسامُحٌ؟ هَهْ!

أرنبٌ إلهيّ يفرّ من حديقة هذه العنصرية المثقّفة التي تُسمّى التسامح.

الأرانب، هي أيضاً، ترفض التسامح!

الأرانب، هي أيضاً، تريد المساواة!

– ٥٩ –

لم أعد أتذكّر كيف كنت أسير في الشارع. في عربة خيلٍ؟ ربّما.

سألتُ حرذوناً ضالاً. لم يلتفتْ إليَّ. سألت ببغاء – أنثى تداعبها يدٌ بيضاء. ارتعشَت وأخذت تقلّد صوتي ساخرةً. هل أكتفي بسؤال بقرةٍ وحشيةٍ تركض في مخيلتي؟ وكانت جارة لامرئ القيس.

ربّما كنت أسير في عربة إسعاف شعبيّ. في صور فيلم وثائقيّ أخرجه ثعبان يتحدّر من آدم.

ثعبان أحمر – لم أعد أتذكّر.

– ٦٠ –

كنتُ قد تحوّلت إلى نخلةٍ أو إلى طائرٍ يشبه طائر الفينيق، أو إلى جزيرة بحجم أرواد، تلك الجزيرة التي لا تفارق مخيّلتي. أوه! ذئب السماء سيريوس[1] يسبح بين الجبال. أوه! صار ذئب السماء في رعاية الأرض، صارت وسادة الجَدْي تحتَ رأس الثور.

أوه! صار الغسق في رعاية الغسق.

---

1 Sirius

- ٦١ -

- من يجرؤ أن يرى كنيسةً بين فَكَّيْ حوت؟

من يجرؤ أن يضع كنيساً أو جامعاً تحت المجهر؟ سألتُ، في مخيّلتي، شاعراً لبنانيّاً كبيراً وشعبيّاً، وُلِدَ ومات في المكسيك، حدّثني عنه قيصر عفيف. وسمعتُ جوابه، في مخيّلتي أيضاً:

- "مِن أجلِه، نجرؤ على افتتاح عرس الأرض، بالرقص على جثّة السّماء."

- لكن إلى مَن تشير هذه الهاء المستترة؟

- إلى حلْبة هذيان أعمى. وإليها نقودكَ أيّها العصر.

دليلنا هنديٌّ أحمر.

- ٦٢ -

تريدُ أن تغيّر الإنسانَ؟ هَهْ!

إنْ غيّرت القدمَ، فكيف تغيّر الفَخِذ؟

إنْ غيّرت الفخذَ، فكيف تغيّر الفرج؟

إنْ غيّرت الفَرْج، فكيف تغيّر الخاصرة؟

إن غيّرت الخاصرة، فكيف تغيّر العنق؟

إنْ غيّرت العنق، فكيف تغيّر الوجه؟

إنْ غيّرت الوجه، فكيف تغيّر الرأس؟

إنْ غيّرت الرأس، فكيف تغيّر القلب؟

إنْ غيّرت القلب، فكيف تغيّر الكبد؟

إنْ غيّرت الكَبِد، فكيف تغيّر الشرايين والأوردة والأحشاء؟

تريد أن تغيّر الإنسان؟ هَهْ! هَهْ!

ولماذا لا تبدأ بنفسكَ؟

– ٦٣ –

بقليل من فخار الزمن وطين اللّغة، مضيفاً إليهما سُمّ الواحد، وبلسم الدّنيا، وعسل الآخرة، مسحوقةً جميعاً ومذوّبةً في حساءٍ وطنيٍّ إلهيٍّ، وبأمْرٍ يُعطى لمن يكتب تاريخ المدن:

– هُوذَا، إبدأْ!

– كَلاّ، لن أخلقَ ما يُشبهني!

لن أخلق إلاّ الأعداءَ والنقائص، وما لا يشبهني في أي شيء.

واقرأوا.

لا تضعوا في النص الذي تقرأونه فَخّاً أو سلاحاً.

لا تمزجوه بأمعائكم.

– ٦٤ –

المَسيني بقَرْنَيكِ، يا غزالةَ مايا.

أريد أن ألمس أعماق الأمكنة، أن أزرع السموات في أحشاء الأرض. كمثل نباتاتٍ نصفها بشرٌ، ونصفها غيومٌ وأعاصير. أريد أن أستأصل جذور الملائكة.

أن أهدمَ الواحد وأبنيَ الكثير.

أريد أن أقول للأرض: أنتِ الواقع،

وللسماء، لستِ إلاّ فقاعةً!

هكذا يختفي الآلهة من هذا المكان، خلافاً لما يقوله هيراقليطس.

إذاً، ادخلْ آمناً.

تهيّأْ لكي ترى الشمس ترقد في صحنٍ بلون القِرمز. لكي ترى قرون الماعز تلتصق بجذوع الشجر والبشر. لكي ترى البشر يدخلون أفواجاً في دين المعنى.

لكي ترى القمر يتدلّى من قنديلٍ لا يعرف أحدٌ كيفَ جاءَ، ومن أينَ؟

- ٦٥ -

مايا،

ليس للّيل لسانٌ، غير أنّه لا يتوقّف عن سرد أحلامك. أكيدٌ، كما يقول: للأبديّة عطر يتسرّب من عنقها إليكِ. تتلْمذَتْ على الطبيعة، لكن، أنتِ التي ابتكرتِ. فنّكِ نشيدٌ في حنجرة المادة.

في بيتكِ، المُتحف الأنتروبولوجي، تماثيل تسير، تقف، تتحدّث، تصمتُ، تحلُمُ. تماثيلُ - كلٌّ منها يضع شفتيهِ على ناي التاريخ. كلٌّ منها درجٌ في اتّجاه اللاّمَرئي. كلٌّ منها مائدة تحبّ الشمس أن تفرش فوقها قفطانها المذهّب.

- ٦٦ -

هاتوا أصدافاً لكي نكتب ونؤرّخ. هاتوا نقطة لكي نبدأ الوحدة. هاتوا تنويعات على الجسم وأعضائه، على الرؤوس وأشكالها، لكي نقرأ العالم. أعضاء الإنسان أجمل أبجدية لكتابة الكون.

اسحقوا قشور الشجر واعجنوها لكي تستقبل ما يخرج من رؤوسكم. انحتوا، احفروا، انقشوا، ابتكروا أشكالاً لأقوالكم على وجه الحجر، على صدر الفخّار، على مخروط العظم، على سعف النخل، على أوراق البردي. اعقدوا هذا كلّه بثيابكم، ارسموه أينما تيسّر لكم. سجّلوا أعمالكم - حكمةً وسياسةً، حرباً وسلماً.

– ٦٧ –

هاتوا أوتاداً. اغرسوها عمودياً في التراب لكي نقيس، اعتماداً على ظلّها، ارتفاع الشمس.

هاتوا خشبتين متصالبتين لكي نقيس، انطلاقاً من نقاط نحدّدها في الأفق، الوقت الذي تشرق فيه الكواكب أو تغيب.

إنّه الكون: مسرح تتجابه فيه طاقات الخلق، كشفاً عن أسرار الكواكب التي تُدير الكون.

إنّه الفَلَكُ معنا ضدّ التشرّد والموت. الفلك فُلْكُنا لعبور الحياة وظلماتها. الفلك معنا.

– ٦٨ –

كيتزال!

أغبطك أيّها الطائر المقدّس. أغبط رؤوسَ القادة – تتزين بريش ذيلك الباهر الطويل. وقيلَ: من ثيابكَ تُعرَف أيّها الكائن. من أيّة طبقة تجيء. لأيّة طبقة تنتمي. الثوب مِرآةٌ.

الثوب سُلَّمٌ. الثوب يخيط صاحبه. المظهر دليل الجوهر.

بُوركتَ أيّها القطن، يا سحر البُسطاء.

هاتوا أصدافاً لكي نكتب ونؤرّخ.

- ٦٩ -

زوكالو!

هنا يحلّ الأفق سرواله. ربّما لكي يعرف كيف يتسقبل الشمس. وكان الفضاء في عناق سرّي مع تينوكتيتلان[1] تهدهده الأشعّة الساطعة في كال فرنسيسكو ماديرو[2].

اذهبي أيّتها الساحة إلى نهاياتكِ. ماء التاريخ العكِر هو أيضاً طريقٌ للبحث عن الماء النقي.

كانت خطواتي كمثل أحلامي، الليلة الماضية، غارقةً في ماء غامض، لا أعرف كيف أنتشلها منه.

1 Tenochtilan: العاصمة الأزتيكية القديمة

2 Call Francisco Madero

- ٧٠ -

زوكالو!

دُوارٌ تتعانق فيه الأزقّة والأرصفة، أغوار الأساساتِ، وأعالي العمارات. أهو سرير البحيرة القديمة تيكسكوكو[1]، لا يزال يترنّح؟ أهو ترابها المتحرّك الرَّخو؟

أحاول أن أسير في الظّل متسائلاً: من أينَ لي، مع ذلك أن أتقن غرسَ الشجر الذي يتقن صناعة الظلّ؟

هنا، في مركز الظلّ الأزتيكيّ، أتابع، أنا العابرُ، بناء البيوت. بيوتٌ للكواكب تتنقّل في الخيام والجرار وأحضان الينابيع. بيوتٌ لكواكب – عناكب تَرْئِسُ المغازل التي تزيّن بخيوطها شباك الحياة والموت. وثمّة قمصانٌ تتطاير كمثل الأجنحة، تلبسها الأزمنة، وتنسجها الدّقائق والسّاعات. قمصانٌ برؤوس وأقدامٍ ومن كلِّ لون. قمصانٌ أسرّةٌ، وقمصان أغطيةٌ، وقمصانٌ مرايا. قمصانٌ

1 Tex Coco

متاحف وزِلّيجٍ، وقمصانٌ جبالٌ ومغاور وأودية.

- ٧١ -

زوكالو،

بكِ نخرج من الوحدنة. أجسامنا طرقٌ للخروج. طرقٌ داخل طرقٍ لا نراها.

مَن سيشرح لنا آثار خطواتنا؟

حيث يتقدّم اللاّمرئي على شقيقه المرئي، شارباً ماءَ سومرَ في جرّة مايا، نمخر الأزمنة بتنهّداتنا، فيما نحمل الأرض كلّها في إزميلٍ، أو قصيدةٍ، أو نختزنها في فرشاة ألوانٍ نُنَصّبُ عليها الأزرق ملكاً. وليس المجاز هو ما نعبر به المحطّات والمفارق والمسافات، بل الواقع الذي يتنقّل بين أصابعنا كأنّه الخبز.

- ٧٢ -

الواقع هو أيضاً مجاز آخَر.

من فم الأرض نأخذ أَلْسنتَنا. نقول لقلوبنا: كوني كمثل قلبها. نكتشف الضوء الذي يأخذ عيوننا إلى ما وراء الظلام.

كمثلها،

نكنز في أحشائنا نار المعنى، ونُجري حولها أنهار الصّور. نرافق الفصول في عرباتها، ونغيّر سماواتنا. نفتح النوافذ على مجهولاتٍ تشبُّ في إيقاع خطواتنا. الجسور كلّها تتهدّم، إلاّ تلك التي يقيمها الشعر.

للشعر كمثل النّحل زهرٌ يأخذ منه رحيقَ أسراره.

- ٧٣ -

زوكالو،

هُوَذا نخيط أشعة الشمس بأيّامنا، ونعلّقها فوق العَتَبات وعلى النوافذ، وفي المفارِق. نتحدّث مع البروق، ونُصغي إلى خطواتنا في حوارها الدّائم الصّديق مع الغبار. نستنطق القمر، فيما يتسلّق أهراماتنا، حاملاً إلينا رسائلَ من نجومٍ بيننا وبينها أواصر قديمة، وفيما نشاهد الغيوم تبكي، وتسمح لنا بأن نتمرأى في عيونها.

- ٧٤ -

عندما كانت السماء تريد أن تُصْدِقنا القول، كانت تمتلئ بالغيوم. نعرف أنّ المطر يعرف، هو وحده، أن يقيم صداقة عالية بين التراب والفضاء.

اطبخْ لنا الحصى، أيضاً وأيضاً، أيّها الزمنُ، إن كنتَ تريد أن تكون وفيّاً لتاريخنا.

وأنتم، أيّها الأصدقاء، أَصغوا إلى ذلك البحر الذي يأخذ دوره الآن في الخطابة على منبر الموج. انظروا إلى الحقول تستقبل مواكب الطير والزّهر.

لا بُدَّ من أن يَتَتَلْمَذَ العلوُّ، هو كذلك، على موسيقى الهبوطِ وإيقاعاتها. لا بُدَّ من أن تجدَ النّهاية مهدها الخفيّ تحتَ غطاء اللاّنهاية.

بلى، المستحيلُ اسمٌ آخر للممكن.

طرقٌ تذهب وتجيء كمثل رياحٍ تقيم عروشها على القَشّ. ثلوجٌ

لم تهطل بعد، تنسجُ غيوماً لمطرٍ يهطلُ غداً. فجرٌ يفتح أحضانه لخلائق الطّين. شَرانقُ - جوازاتُ سفرٍ إلى تكوينٍ آخَر.

- ٧٥ -

كلاّ، لم نكن نفاوض غير البروق لكي نقيم سلاماً بيننا وبين الفضاء. الأبديّة فاصلة في كتاباتنا. وعندما كنّا نسافر في الأنهار أو البحار، كان الماء يُجْلسنا على ركبتيه ويربّت على أكتافنا. مرّةً، أخطأ النهار في لفظ اسمنا. مرّةً، عندما أخذ الفضاء يسأل دروبنا عن اتّجاهاتها، آثَرَتِ الصّمت. وعندما كنّا نريد أن نصافح الطّبيعة، كانت أيدينا تتحوّل إلى تماثيل.

أعْطِ، أيّها الجبلُ، ساعدَيك لهذا الأيّل.

أَعْطِي، أيّتها الشجرة، صدرَكِ لهذه الببّغاء.

أعطي، أيّتها المغارة، ثدييكِ لهذا الوطواط.

الأرض كلّها بيتٌ واحدٌ لعائلة واحدة.

- ٧٦ -

أغنية I

رأسٌ مقلوبٌ يوقف الأسئلة على أقدامها.

إنّه الكذب يتكرّر على لسان السماء، ضدّ الطبيعة، وضدّ الطبع.

ابتكرْ، إذاً، أيّها الضّفدَع المكان الذي تمثّله، وقدّمْ للببّغاء أوراق اعتمادك. لا بدّ أن تدعو الأيائل لكي تحضر حفل تقديم الأوراق. لن يكون على المائدة إلاّ حبّاتٌ من التمر، وقليلٌ من الماء في كأسٍ من الخشب الأبنوسيّ، انتقاماً من الذهب. وسوف تكون العصافير قد سنّت أجنحتها استعداداً لمواجهة العاصفة.

أغنية II

دموع شجر تسيل من عيون الفضاء. أهرامات تجلس على رؤوس الرياح، والعتباتُ أقواس قُزَحٍ توحّد بين الجهات. ماذا نقدّم لصمتكِ أيّتها السّماء غير بيض النّملِ؟ هل نقول للقمر الذي يحمل ضوءه على كتفيه أن يحمل هذا البيض على ساعديه، أو تحتَ سُرّته؟ هل نهمس له أن يدخل عليكِ سرّاً أم علانيةً؟

سُلَحْفَاةُ الحكمة تصرخ بنا فجأةً:

لا شأنَ لكم في السّماء،

لا شأنَ للسّماء فيكم.

أغنية III

بومةٌ تتناقش مع العتمة حول كسل الضّوء.

لا شيء كمثل الزّائل يعرف كيف يصف جمال البقاء.

كلّما حاولت أن أفتح صدري لغموض الظلمة زجرني الضوء. كلّما حاولت أن أدفع الضوء لكي يكون أكثر عموديّة وَشْوَشَتْنيَ الظلمة: ترفّق، ترفّقْ بالضوء. هل أشكّ، إذاً، في سماحة النور؟ هل أقول: الظلمةُ هي أيضاً بدايةٌ كمثل النور؟

أغنية IV

مايا،

بأيّة قوّة سمّيتِ الآلهة؟ بأيّة حكمة رسمتِ لكلٍّ منهم سُلطاته؟ أهذه الآلهة ثمارٌ أم جذور؟ هل ينشقّ الواحد في سمائها إلى اثنين أو أكثر؟ إذاً، هل يكون في آنٍ، ذكراً وأُنثى، ذكراً أُنثى، أنثى ذكراً؟

ولماذا لا تشيخ آلهتك؟ هل الطفولة أبديتك الثانية؟

بكِ منكِ معكِ أتعلّم كيف أكتنز المعرفةَ مثلكِ، بين أصابعي، في خطواتي، تحتَ بَشَرتي، وفوقها. عندي بَشَرةٌ صالحةٌ لكي أتسلّق ذُروات الحكمة العالية. ولي قدمانِ تُتْقِنان تهجئة المسافات في علم الغيب.

أغنية V

اللّيل ليلٌ والشّمس شمسٌ ولن يلتقيا، مع أنّهما ينامان في لباسٍ واحدٍ،

قالت مايا.

جسدُ اللّيل في تلاطُم أبديّ مع جسد النّهار، حتّى عندما يرقدان معاً في سريرٍ واحد،

قالت مايا.

إبقَ في النقطة القصوى، في الطرف الأخير من خيط اللّيل، لاقِني هناكَ، يا مَن تبحث عن شمسي،

قالت مايا.

- ٨١ -

أغنية VI

إنّها النجوم – قصائدُ تتبعثر في دفتر اللّيل.

إنّه القمر – ريشةٌ بيضاء تتطاير في بستان النجوم.

إملاءٌ ذلك الضوء،

ينزل من شفتي إيكس شيل[1].

تؤكّد ذلك محبرة الشمس.

تؤكّد أقلام الأثير، والزرقة التي تتبطّنُ بالسواد، والجنوب الذي يتدلّى عقداً في عنق الثريّا، وخاصرة الشمال. يؤكّده خط الاستواء، ذلك الأيّل العاشق الذي يتزوج الشمس، اليوم.

1 Ix chel

- ٨٢ -

أغنية VII

ابتهجي إيكشيل[1] يا إلاهة القمر، والطِّبّ، والخِصْب، والنساء اللائي يضعنَ أطفالهنّ، أو يتهيّأنَ لوضعهم.

أَخْصِبي الحقول، وانظري بعينين عاشقتين إلى أجسام العشّاق. العشّاق جميعاً، مَرْضَى في هذا العصر. ولا يريدون دواءً. يريدون مزيداً من الدّاء.

هوذا، باسمكِ، أشربُ في فندق لاكاسونا ماءَ اللّيل بكأسٍ لها شكل النّسر.

نسرٌ يتدلّى من عنقه عقدُ فراشات حمراء. وأرى إلى النجوم تحطّ كمثل طيور بيضاءَ على كتفيكِ. وكنتُ قد استيقظتُ على رفيف نسرٍ فرّ من غابتك، وكان يلعب النّرد مع فهدٍ أسود.

1 IXCHEL

حرِّري غيومكِ، إذاً، واتركي لهنَّ حرّية الهبوط إلى بحيرة الحبّ.
ثمّة أغطيةٌ جاهزة لمن يحبّ أن ينام خاطتها يدُ اللّيل.

— ٨٣ —

أغنية VIII

آهْبُّوش إله الموت، يمدّ يده لكي يصافحني، كأنني صديقه منذ أمدٍ بعيد. بدا لي كأنّه يهبط من شجرة صنوبر، ترافقه غزالةٌ، وعلى كتفه اليُسرى نسرٌ أبيض. وكانت الحيّة المريّشة كوكولكان تحاول أن ترقص مع فهدٍ أسود، كان يخرج لتوّه من سهرةٍ راقصة على إيقاع جارانا تمجيداً للحبّ.

تروفا يوكاتيكا!

الخيمة رقصٌ، والجسد ناضجٌ تحت قبّة اللّيل.

أُدْخُلي في بهائكِ الأسود يا شمسَ الرّغبة.[1]

1 Jarana, Kukulkan, Ah Puch Trova yu cateca: (غناء سحري وحزين)

أغنية IX

ت، كمثل برومثيوس، نار الحكمة، مرّة ثالثة، لكن من فضاء مايا،
المرّة. أشعلتُ، هذه المرّة أيضاً، قنديل البصر والبصيرة في آن.
ان العالم ينزلق في بلاد الشّام، كمثل عادته، على كرة اسمها:
. هكذا كانت تحصده مناجلُ سنّها بسماواته، وشحذها بأفكاره
اله.

فضاء حوله، كوخٌ يكاد أن يتداعى. يخفّون كمثل أسلافهم لكي
وه، كلٌّ باسم سمائه وملائكتها. ثمّ يقتلون من يشاؤون، كما
ون – ذبحاً على الأخصّ. ثمّ يقيمون المستقبل على صدور

م يرفعون أصواتهم بالدّعاء: وفّقنا، يا ربّ!

م، ثمّ، ثمّ...

أغنية X

أُوحيَ إليّ أن أبحث عن مغنين هنا، في مكسيكو، وهناك، في بلاد الشام، لكلّ منهم صوت شجرةٍ، وقامةُ جبلٍ، وصدرُ بحيرةٍ. ورحتُ أتخيّل تلكَ الأرض التي جئتُ منها. لم يصدّق عقلي عينيّ. ولم أعد أصدّق نيتشه:

كان قد أعلن موت عدوّه، لكن سرعان ما نهض من قبره في بلاد الشام وغيرها، معلناً حروب اللّغو.

أخذ الناس، من جديد، يولدون في الألفاظ ووحيها. في الخناجر والسيوف والرّماح في القنابل والدبّابات والصواريخ.

بشرٌ – شبكاتٌ، وأنابيبُ ذَرّية.

إنها الأبجديّة تُقْتَلُ حرفاً حرفاً.

ومن أين نأتي بكلماتٍ تقول الأشياءَ التي تُولَد اليوم؟

- ٨٤ -

أغنية IX

سرقْتُ، كمثل برومثيوس، نار الحكمة، مرّة ثالثة، لكن من فضاء مايا، هذه المرّة. أشعلتُ، هذه المرّة أيضاً، قنديل البصر والبصيرة في آن.

كان العالم ينزلق في بلاد الشّام، كمثل عادته، على كرة اسمها: القتل. هكذا كانت تحصده مناجلُ سنّها بسماواته، وشحذها بأفكاره وأعماله.

الفضاء حوله، كوخٌ يكاد أن يتداعى. يخفّون كمثل أسلافهم لكي يسندوه، كلٌّ باسم سمائه وملائكتها. ثمّ يقتلون من يشاؤون، كما يشاؤون – ذبحاً على الأخصّ. ثمّ يقيمون المستقبل على صدور القَتلى.

ثمّ يرفعون أصواتهم بالدّعاء: وفّقنا، يا ربّ!

ثمّ، ثمّ، ثمّ...

- ٨٥ -

أغنية X

أُوحيَ إليّ أن أبحث عن مغنين هنا، في مكسيكو، وهناك، في بلاد الشام، لكلّ منهم صوت شجرةٍ، وقامةُ جبلٍ، وصدرُ بحيرةٍ. ورحتُ أتخيّل تلكَ الأرض التي جئتُ منها. لم يصدّق عقلي عينيَّ. ولم أعد أصدّق نيتشه:

كان قد أعلن موت عدوّه، لكن سرعان ما نهض من قبره في بلاد الشام وغيرها، معلناً حروب اللّغو.

أخذ الناس، من جديد، يولدون في الألفاظ ووحيها. في الخناجر والسيوف والرّماح في القنابل والدبّابات والصواريخ.

بشرٌ – شبكاتٌ، وأنابيبُ ذَرّية.

إنها الأبجديّة تُقْتَلُ حرفاً حرفاً.

ومن أين نأتي بكلماتٍ تقول الأشياءَ التي تُولَد اليوم؟

هوذا أشاهد كلماتٍ يغسلنَ أجسامهنّ في حوضٍ بعيدٍ عن البيت الذي يقيم فيه المعجم.

آه، ما أكثرَ الشيءَ، وما أقلّ اللّغة في هذه البلاد التي أنتمي إليها.

الآن تلهو كلماتي مع الرّيح، وتأخذ الرّاحة تحتَ جناحَيْ شمس لا يعرفان عادةَ النّوم.

أغنية XI

كمثل مايا،

ألبسُ الموت لكي أستطيعَ أن أُبقي الحياة عاريةً، ولكي أقتلَ الخوف. وسوف أتّخذ من أشعة الشّمس عقارب لساعةٍ أقيسُ بها الوقتَ، وما وراءه. أقيم أخوّةً بين أطفال الأيائل، وأطفال النباتات. أحاول أن أقرأ الغيوم وهي تحطّ على ضفاف الأنهار والبحيرات، كمثل أسرابٍ من الطّيور المهاجرة،

أتذكّر أطفالاً يتسلّقون سيقان الذّرة كلّما أرادوا أن يصافحوا الكواكب، ونساءً يجلسنَ على الأجنحة كلّما أردْنَ أن يقرأنَ غيبَ الجنس.

تحبُّ الذّرة الأيدي التي تلامس عَرانيسها. تحبّ الأشجار أن تكون خياماً بلا أبوابٍ لكي يسهل على الرّياح أمر الدّخول والخروج.

أتذكّر كيفَ ثارت الملائكة على قادتها، وكيف طُردت جميعاً،
وكيفَ لجأت إلى بلاد مايا التي أشفقت عليها، وحوّلتها إلى طيورٍ
ونباتات وينابيع.

– ٨٧ –

أغنية XII

امنحني القدرة، أيّها الشعر،
كي أتدرّب على قراءة فلسفة النّمل،
وصمت الحجر، ورياضيّات النحل.
ردِّد معي يا قيثار الأبدية،
وأنتَ يا غبار الطّلع:
تجثو الينابيع على ركبها، ابتهاجاً بوصول مائها،
إلى الحقول.

– ٨٨ –

أغنية XIII

تحتَ سماء مايا،

سماواتٌ كثيرةٌ غيرَ تلك التي طُبخَتْ وكُوِّرتْ في أقاليم الكتب المقدّسة.

وما أطيب أن أتخيّل الآن:

أضع هذه السماء في قَفَصٍ

أحيطه بحَشْدٍ من القرود المتنوِّعة،

ثمّ أسألها: لماذا لا توقظينَ

أولئكَ الفقراء، سكّان الأكواخ،

لكي تقولي لهم: صباح الخير؟

أتمنّى أن أرى شجرةً واحدةً

تؤكِّدُ أنّها رأتكِ، ولو مرّةً واحدةً،

تقومينَ بهذه التّحيّة.

وما يكونُ عملُكِ إذاً؟

سُجِنْتُ مرّةً في ثقب إِبْرةٍ لأنني قلتُ عن هذه السّماء: إنّها سَرْجٌ لا يليقُ بحصانٍ ينتمي إلى الأرض.

أغنية XIV

بالحروف نفسها،

تُكْتَبُ أسْماءُ الآلهة والشياطين، الأنبياء والملائكة، النّساء والرّجال، الحقول والبحار، الغابات والحشرات، الجبال والأودية والمغاور.

مساواة حَرْفيّة!

لا بدَّ إذاً، من سرٍّ وراء القضاء على هذه المساواة.

قلْ ما هو، أيّها الإنسانُ الألِفُ الياءُ؟

أغنية XV

لكلّ وجهٍ

مرآةٌ في الحجر،

في الحيوانات الأليفة ذوات الأثداء،

والوحشية ذوات الأنياب.

في النباتات التي تتآخى مع الفراشات، وفي كلّ ما يَرْضعُ ويُرْضِع.

لكن، من قال ذلك؟ لِيَكُنْ!

الوجه ضوءٌ يتحوّل هو نفسه إلى مرآةٍ.

وتَشْرُدُ خيول المعنى في حقول الأبجدية،

فيما تتجادل حول الصّورة

العناكبُ والكواكبُ،

الشموع والرّياح.

لكن،

ماذا تفعل تلك العقارب الرّابضة في أسرّة الآلهة؟

ماذا يدبّر ذلك التّنين السّاهر على بحيرة النّار؟

الآلهةُ قضاةٌ، لكنّهم، أيضاً، حُرّاسُ السّكاكين.

السّماءُ قِماشٌ أحمر،

يُحوَّل في دروبهم إلى مظلاّت زرقاء، احتفاءً بخطواتهم.

— ٩١ —

أغنية XVI

أقِفُ على عَتَبَة مايا،

أقول لها:

وداعاً، لكن إلى حين!

أتوسّط باسمكِ الآنَ، مدارَ الجَدْي، لكي يكون أكثر حنوّاً على الثّور.

جديٌّ يرقص

بين الكواكب،

قرب ثورٍ يلبس غيمةً تلبس السّماء،

قرب نجمة تعانق غزالاً،

قرب قمرٍ

لا يعرف أن ينام إلاّ في أحضان امرأة.

هل سَكِرَتِ السّماءُ مرّةً،
إلاّ من كلام أرضٍ عاشقة؟

– ٩٢ –

أغنية XVII

لم أنَمْ تلك اللّيلة.

رحتُ أرتّب سوادَ اللّيل في فراشي جديلةً جديلةً. تغمرني ذكرى تلك الفتاة الصّغيرة التي أتاحت لطفولتي في القرية أن تبتكر بشفتيها قبلتي الأولى. لم أكن بعد قد بلغت الحادية عشرة.

مزَجْتُ كلّ جديلة بتنهّداتي،
وأخذتُ أتخيّل لهذا السّواد ضوءاً
أظنّ أنّه هو كذلك، يعرفه،
للمرّة الأولى.

في ظلّه، شققْتُ فراغاً في جسم الشّهوة، وهبطتُ في تجويفٍ لا قرار له.

كيفَ أودّع، إذاً، مكسيكو ولو إلى حين؟

هل أضع مايا في شكل فراشةٍ
على نهدها الأيسر،
وأضع الشّمس في شكل وردةٍ على نهدها الأيمن؟
هل أسألُ: كيف نقرأ الآن ذلك التّاريخ الطبيعيّ الذي كتبتْهُ بحيراتُها، خصوصاً البحيرة الأمّ؟
أكيدٌ،
سأقول لنفسي في ذات نفسي:
منذ مدّةٍ،
عدْتُ من مكسيكو،
كلاّ، لم أعُدْ
لا أزالُ مقيماً هناك.
الشّمس تحبّ دروب مايا.

(مكسيكو، ٢٥ نيسان/ باريس ١٠ آب ٢٠١٢)

نشر هذا النص، للمرة الأولى، باللغة الفرنسية عن دار "ميركور دو فرانس" سنة ٢٠١٣، وقامت بترجمته الشاعرة والروائية فينوس خوري.

للشاعر

(آثَرْنا، اختصاراً، أن نكتفي بالإشارة إلى الطبعتين الأولى، والأخيرة).

١) شعر

قصائد أولى، ط ١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٥٧؛

طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

أوراق في الريح، ط ١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٥٨؛

طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

أغاني مهيار الدمشقي، ط ١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٦١؛

طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل،

ط ١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٥؛

طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

المسرح والمرايا، ط١، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٦؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

هذا هو اسمي، بيروت، ١٩٧٠.

مفرد بصيغة الجمع، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٧؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

كتاب القصائد الخمس، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.

كتاب الحصار، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥.

شهوة تتقدم في خرائط المادة، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٧.

احتفاءً بالأشياء الغامضة الواضحة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

أبجدية ثانية، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٩٤.

الكتاب I، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٥.

الكتاب II، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٨.

الكتاب III، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٢.

فهرس لأعمال الريح، دار النهار، بيروت، ١٩٩٨.

أَوّلُ الجَسدِ آخرُ البَحْر، ط٤، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٠.

تَنبَّأْ، أيّها الأعمى، ط٤، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٠.

تاريخ يتمزّق في جسد امرأة، ط٣، دار الساقي، بيروت، ٢٠١١.

اهدأ، هاملت تنشّق جنون أوفيليا، ط٢، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.

ورّاق يبيع كتب النّجوم، ط٢، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.

ليس الماء وحده جواباً عن العطش، دبي الثقافية، ٢٠٠٨.

فضاءٌ لغبار الطّلع، دبي الثقافية، ٢٠١٠.

كونشيرتو القدس، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢.

٢) الأعمال الشعرية الكاملة

ديوان أدونيس، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧١؛
ط٣، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.

الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥؛
ط٥، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨.

الأعمال الشعرية الكاملة، طبعة جديدة، دار المدى، دمشق، ١٩٩٦.

الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الأول ١٩٤٩-١٩٦١، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٣.

الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الثاني ١٩٦٥-١٩٧٠، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٣.

الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الثالث ١٩٧٥-١٩٨٠، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٤.

الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الرابع ١٩٨٢-١٩٩٤، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٤.

الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الخامس ١٩٩٨، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٤.

الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء السادس ٢٠٠٣-٢٠٠٧، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٤.

٣) مسرح

أشجار تتّكئ على الضوء، بدايات، دمشق، ٢٠١٠.

٤) دراسات

مقدمة للشعر العربي، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧١؛

ط٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦.

طبعة جديدة منقّحة ومزيدة، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٩.

زمن الشعر، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢؛

ط٦، مزيدة ومنقّحة، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٥.

الثابت والمتحوّل، بحث في الاتّباع والإبداع عند العرب،

ط٩ (مزيدة ومنقّحة، في أربعة أجزاء):

١- الأصول،

٢- تأصيل الأصول،

٣- صدمة الحداثة وسلطة الموروث الديني،

٤- صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري.

دار الساقي، ٢٠٠١.

فاتحة لنهايات القرن، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠؛

ط٣، دار الساقي، ٢٠١٤.

سياسة الشعر، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥.

الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥.

كلام البدايات، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٠.

الصوفية والسوريالية، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٢.

النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.

النظام والكلام، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.

ها أنت أيها الوقت، (سيرة شعرية ثقافية)، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.

موسيقى الحوت الأزرق، دار الآداب، بيروت، ٢٠٠٢.

المحيط الأسود، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٥.

رأس اللغة، جسم الصّحراء، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٨.

محاضرات الاسكندرية، دار التكوين، دمشق، ٢٠٠٨.

٥) مختارات

مختارات من شعر يوسف الخال، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٦٢.

ديوان الشعر العربي،

الكتاب الأول، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤.

الكتاب الثاني، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤.

الكتاب الثالث، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٨.

ديوان الشعر العربي (أربعة أجزاء)، ط٥، منقّحة ومزيدة، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٠.

ديوان البيت الواحد في الشعر العربي، ط١، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٠.

مختارات من شعر السياب، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٧.

مختارات من شعر شوقي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.

مختارات من الكواكبي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.

مختارات من محمد عبده (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.

مختارات من محمد رشيد رضا (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.

مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.

مختارات من الإمام محمد بن عبد الوهاب (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.

(الكتب الستة الأخيرة وُضعت بالتعاون مع خالدة سعيد).

٦) ترجمات

حكاية فاسكو، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٢.

السيد بوبل، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٢.

مهاجر بريسبان، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٣.

البنفسج، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٣.

السفر، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٥.

سهرة الأمثال، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٥.

مسرح جورج شحادة، طبعة جديدة، بالعربية والفرنسيّة، دار النهار، بيروت.

الأعمال الشعرية الكاملة لسان جون بيرس،

منارات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦؛

طبعة جديدة، دار المدى، دمشق.

منفى، وقصائد أخرى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨.

مسرح راسين

فيدر ومأساة طيبة أو الشقيقان العدوان، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٩.

الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٦.

كتاب التحولات، أوفيد، المجمّع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢.

الأرض الملتهبة، دومينيك دوفيلبان، دار النهار، بيروت، ٢٠٠٥.

ساعة الحياة المعلقة على جدار الكون،
تتسول عقاربها.

تمهل يا أيا
أريد الموت لكي أستطيع أن
أبقي الحياة عارية.

أدونيس

ISBN 978-6-14425-781-4

www.daralsaqi.com